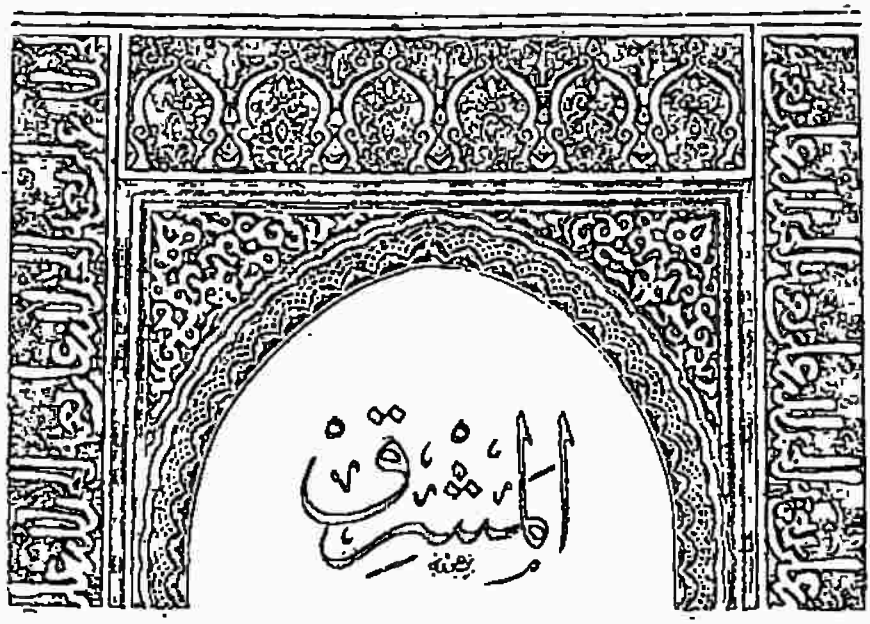

السنة الحادية والثلاثون — نيسان ١٩٢٨

البطريركيّة الانطاكيّة

بين الاتحاد والانفصال

بقلم الاب اثناسيوس حاج قب
رئيس المدرسة الشرقية في زحلة

١

في ذلك الفرع الكبير الذي نبت على اصل الكنيسة المقدسة منذ نشأتها فامتدت منه الغصون حاملة ازهار الفضائل وثمار القداسة، وتمنّت فوق افنانه بلابل الفصاحة والبلاغة، واستظلّ بظله الوارف ربوات المؤمنين، وسقته دماء الشهداء حيناً بعد حين.

رأت الجحيم عظمة هذا الغصن فأثارت عليه عاصفة الهرطقة والشقاق لتجفف منه ماء الحياة وكادت تبهره، لولا ان المسيح الذي سقى شجرة كنيسته بغزير دمائه ابى ان ينفصل هذا الغصن زماناً طويلاً، فعمل على عودته شيئاً فشيئاً.

ولعلّ الزمان قد حان لكمال الاتحاد المنشود. فلنلقِ نظرة تاريخية على

البطريركية الانطاكية منذ نشأتها الى الآن لترى ما شتّت شمل ابنائها على حين انهم كانوا عائلة واحدة متحدةً برأس الكنيسة . وحينئذٍ نعمل بكل ما فينا من غيرة وحمية على تبديد الاوهام وتذليل العقبات في سبيل تحقيق تلك الامنية الجميلة ، امنية الاتحاد ، فيرجع اذ ذاك الابناء الى ابيهم وتعود العائلة والرعية لراعٍ واحد بعون الله .

لم تكد الكنيسة المقدسة تتأسس في اورشليم حتى ثار ثائر الاضطهاد عليها فلجأ بعض الاخوة الى انطاكية حيث بشروا بالدين الجديد حوالي سنة ٣٥ . ثم جاء اليها القديس بطرس ، وقضى فيها بضع سنوات مؤسساً كنيسة لم تلبث ان اصبحت مبعثاً للمبشرين ترسلهم الى جميع الجهات . وهكذا قد بثّت الايمان في اماكن كثيرة ، ونالت بذات الفضل بعض السيطرة على الكنائس التي انشأتها . وهذه السيطرة قد اقرّ لها بها المجمع النيقاوي . وهكذا بدأ نشأة البطريركية الانطاكية .

وبينا الكنيسة الانطاكية تنمو نمواً سريعاً اذا بالبدعة الآريوسية تحدث فيها انشقاقاً بقيت تتألم منه من سنة ٣٣٠ الى سنة ٤١٥ . فكانت الاحزاب في خلال هذه المدة تتنازع كرسي الاسقفية الانطاكية تنازعاً غريباً . الى ان اتاح الله تعالى للبابا داماسيوس وخليفته ان يضعا حدّاً للمطامع البشرية ويرجعا الامور الى مجاريها[1] .

بعد ان قضي على البدعة الآريوسية في كنيسة انطاكية ، قامت بدعة نسطوريوس ، بطريرك القسطنطينية ، المعلّم ان في المسيح اقنومين ، وتبعه في تعليمه بعض اساقفة كنيسة انطاكية . الا ان المجمع الافسي[2] حرمه وقضى على بدعته . بيد ان هذه البدعة لم تنقض حينئذٍ الا لتقوم على انقاضها بدعة اخرى تدعي ان في المسيح طبيعة واحدة ، فحرمها المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ ، وكادت

---

١) ان التاريخ يعيد ذاته . اذا حدث في كرسي انطاكية في الجيل الرابع قد تكرر حدوثه فيها مراراً . انظر مقالة «تنازع الاسقفية في انطاكية» في المشرق (٣٦[١٩٣٨] ٦٠٨)

٢) من طالع اعمال هذا المجمع المؤلف من اساقفة الشرق خصوصاً رأى باجلى بيان سلطة البابا على الكنيسة جمعاء — اطاب المشرق (٢٩ [١٩٣١] ٩٣٦)

تندثر لو لم تجد في يعقوب البرادعي ، اسقف الرها ، مناصراً كبيراً ، فتسنى لها ان تشيد بطريركية جديدة لقبت ببطريركية اليعاقبة وذلك سنة ٥٤٣ . ومنذ ذلك الحين دعا اليعاقبة اتباع المجمع الخلقيدوني بالامبراطوريين لان البلاط الامبراطوري كان مناصراً له ، ثم غلبت تسميتهم بالملكيين.

ولم يمض طويل زمان حتى نشأت بدعة اخرى تعلم ان في المسيح مشيئة واحدة . وهذه البدعة قد اضلت عدداً كبيراً من مسيحيي الكرسي الانطاكي. وقد توصل الامبراطور هيراكليوس ، مناصر هذه البدعة ، الى ان يستميل اليها عدداً كبيراً من الرهبان. فانفصل هؤلاء عن البطريركية الانطاكية سنة ٦٨١ ، واصبحوا بذلك عرضة لاضطهاد اليعاقبة والملكيين معاً واضطروا ان يهربوا . فلبثوا على حالهم حتى عهد الصليبيين.

انفصال البطريركية الانطاكية عن رومة

بقيت رومة المرجع الاخير للاساقفة والبطاركة كما يظهر من رسائل القديس اغناطيوس الشهيد وغيرها ، ومن تدخل البابا داماسيوس وخلفه في حل مسألة تنازع اسقفية انطاكية ، ومن مجمع افسس وغيره ، الى ان قام فوتيوس محاولاً اختلاس الكرسي القسطنطيني من يد بطريركه الشرعي القديس اغناطيوس سنة ٨٥٧ . وقد توّلف فوتيوس الى الحبر الاعظم حتى يثبته في البطريركية ، وابدى كل خضوع في بدء الامر الا ان البابا لم تخفَ عليه الحقيقة فرشقه بالحرم . فخلع اذ ذاك فوتيوس نير الطاعة وانفصل مع الامبراطور عن رومة.

غير ان المجمع المسكوني الثامن والقسطنطيني الرابع سنة ٨٦٩ اوقف الشقاق بحطّ فوتيوس عن كرسيه . ولم يزل البطاركة بعدئذ يرسلون صورة ايمانهم الى الحبر الاعظم ، ويقيمون اسمه في الذبيحة ، ويرفعون الدعاوى الى محكمته العالية حسب عادتهم القديمة . الى ان ارتقى الى الكرسي القسطنطيني ميخائيل كيرولاروس (١٠٤٣-١٠٥٨) فامر باغلاق كنائس اللاتين ، وشهر انفصاله عن البابا. فاجتهد البطريرك الانطاكي بطرس الثالث في ارجاعه عن غيه ، ولكن عبثاً.

اما البطريركية الانطاكية فقد بقيت خاضعة لرومة الى ان ارتقى اليها

حوالي سنة ١٠٥٧ ثيودوسيوس الثالث المتحزب لكيرولاروس فلم يرسل للبابا صورة اعترافه . وكل البطاركة اليونانيين الذين خلفوه نهجوا نهجه . فيكون الانشقاق في الكنيسة الانطاكية قد بدأ ، والحالة هذه ، منذ سنة ١٠٥٧ ، غير انه لم يكن قانونياً وعلنياً كما في القسطنطينية ، ولا صورياً الا عند البطاركة اليوناني الاصل . اما البطاركة الوطنيون مع المؤمنين فقد بقي انشقاقهم مادياً زماناً طويلاً . ومما يجدر ذكره ان الشعب نفسه لا يمكن ان تنسب اليه الانشقاق ، فقد كان غريباً عما يحدث بين البطاركة وروما . وبقاء الاتحاد او زواله كان منوطاً بارادة البطريرك وحده ، بحيث اذا انفصل جزء معه كل بطريركيته الى شقاق لم يكن صورياً ومجرماً الا في البطريرك واساقفته .

الارتداد عن عهد الصليبيين حتى الفتح العثماني

يظهر ان البطريرك داود اعتنق الكثلكة نحو سنة ١٢٤٨ ، ونال من البابا الاذن في الاقامة بمدينة انطاكية .

ثم لما كان الامبراطور ميشال الثامن الپاليولوغ راغباً في الاتحاد رفع الى كرسي انطاكية ثيودوسيوس الرابع لما انس فيه من الاستعداد لذلك . وهذا قد قبل فعلاً سنة ١٢٧٤ بالاتحاد المعمول عليه في مجمع ليون . غير ان هذا البطريرك استقال من البطريركية سنة ١٢٨٣ . ولما كان الاكليروس الشرقي يبغض الاكليروس الغربي بغضاً شديداً عاد فانفصل عنه .

ومضت اعوام فعاد الشرق والغرب الى الاتحاد سنة ١٤٣٩ في مجمع فلورنسة ، الذي ارسل اليه البطريرك دوروثاوس الاول معتمده . وقبلت تقارير هذا المجمع بفرح عظيم في سورية كلها . بيد ان ارسانيوس ، متروپوليت قيصارية كپادوكيا ، لقي على اثر ذلك زيارة الاماكن المقدسة ، واقنع بطريرك اورشليم وبطريركي الاسكندرية وانطاكية بالاجتماع سنة ١٤٤٣ ، ونبذ تقارير مجمع فلورنسة . وهكذا فرق اعداء الاتحاد القلوب من جديد .

ولم يكن الاحبار الرومانيون ليتنظروا او يجفوا ابناءهم الشرقيين . فان البابا كاليكستوس الثالث سعى في عودة الشرق اليه ، كما ان البطريرك الانطاكي

مرقص الثالث اقتنع بذلك سنة ١٤٥٧ ، فجمع مجمعاً اقر فيه اعادة ذكر الحبر الاعظم في الذبيحة الالهية . وكذلك خليفته يواكيم الثاني فانه كتب الى البابا يعلمه بارتقائه الى البطريركية . واما نهاية هذا الاتحاد فلا يعلم متى وكيف كانت . ولعلها ثمرة عدم متابعة الكتابات والعلاقات ، وتدخل الإكليروس اليوناني المتعصب ، ولاسيما بعد ان وضع يده على بطريركية اورشليم سنة ١٥٣٤ ، واخيراً للموقف العدائي الذي وقفه الاتراك تجاه مسيحيي اوربة ، وخصوصاً تجاه الاحبار الرومانيين ومقاومتهم كل اتحاد معهم[1] .

حركة الاتحاد في القرنين السادس عشر والسابع عشر

ان القسم الثاني من القرن السادس عشر رأى حركة كبيرة نحو الاتحاد . فان البطريرك الماروني كان في بدئه قد جدّد اتحاد شعبه مع الكرسي الرسولي . وكذلك الكاثوليكوس النسطوري فانه قدم صورة ايمانه الى الحبر الاعظم مؤسساً الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية .

وقد حدث في البطريركية الانطاكية الملكية شيء من هذا ، فان البابا غريغوريوس الثالث عشر انتدب كاهناً مالطياً اسمه ليونار ابيلا ليسعى بالاتحاد ، فاجتمع هذا بالبطريرك ميخائيل السابع نحو سنة ١٥٩٣ . وبعد المباحثات وقع البطريرك صورة الايمان الكاثوليكي وارسل كتباً الى البابا يعده فيها ببذل كل ما في وسعه لاعادة الاتحاد . غير ان الموت لم يترك له السبيل لذلك[2] .

وبعد ذلك ببضع سنين تسنى للاب ليونار ان يقنع ملاتيوس كرمة ، اسقف حلب ، بالاتحاد . فتقرب هذا الى رومة التي اوصت به المرسلين الذين كانوا يعملون على بث افكار الاتحاد[3] .

وفي سنة ١٦٣٤ ارتقى ملاتيوس كرمة الى السدة البطريركية ودعي

---

١) اما الآن وقد تقلصت سيطرة الاكليروس اليوناني عن بطريركية انطاكية ، واضمحلت دولة الاتراك التي كانت عاملة على تفريق الطوائف لتسود عليها ، فان الاتحاد اصبح سهلاً على ذوي الارادة الصالحة .

٢) انظر مادة انطاكية في معجم تاريخ وجغرافية الكنيسة

٣) قدم اليسوعيون والكبوشيون الى حلب سنة ١٦٢٥ ، والكرمليون سنة ١٦٣٦ ،

اقتيميوس الثاني ، فاحضر معه الى دمشق احد المرسلين ، الاب قيروط ، وعهد اليه بالتبشير . غير ان هذا البطريرك مات سنة ١٦٣٥ قبل ان يتم الاتحاد بصفة قانونية . وقد ذاعت رومة مساعيها فوعد البطريرك مكاريوس الثالث زعيم بارسال صورة ايمانه مع استفين . وقد قام بوعده سنة ١٦٦٤ . غير انه لم يجرأ ان يجاهر بذلك ويقاطع بطاركة الشرق الارثوذوكس ، ومات سنة ١٦٧٢ .

وكان له نسيب اسمه قسطنطين زعيم استمال اليه والي الشام واساقفة مطرلا والزبداني وصيدنايا ، فسيم بطريركاً وسمي كيرلس الخامس . اما سائر الاساقفة فقد اجتمعوا وسامروا نارفيطوس ، مطران حماة ، الذي رزح تحت الديون واستقال سنة ١٦٨٢ . ولم يلبث كيرلس ان وجد منازعاً آخر في بروكوبيوس دباس الذي نال فرماناً بالبطريركية ، وسامه ثلاثة اساقفة بطريركاً سنة ١٦٨٥ وسمي اثناسيوس الثالث ، وقد نال بواسطة الفرنسيسكان تثبيت رومة بعد ان ارسل صورة ايمانه ١٦٩٨ هو ومكاريوس ، مطران طرابلس ، الذي هداه الكبوشيون .

وممن امتازوا وقتئذ بايمانهم الكاثوليكي بين الاساقفة وبغيرتهم المتقدة عليه اقتيميوس الصيفي المولود في دمشق سنة ١٦٤٨ ، وهو ابن اخت البطريرك اقتيميوس كرمة الذي كان قد عهد بتربيته الى الاب قيروط . فاقتيميوس هذا الذي رقاه كيرلس الخامس سنة ١٦٨٣ الى كرسي صور استحق ان تعطيه رومة الولاية على جميع كاثوليك البطريركية في الاماكن التي لا اسقف كاثوليكي فيها .

وفي ١٧٠١ اعترف بالايمان الكاثوليكي يوناتيوس ، اسقف بعلبك ، وسلفستروس دهان ، مطران بيروت ، ونجحت مساعي الاتحاد نجاحاً باهراً ولاسيما في حلب والشام .

ازدواج الطغمة الكنسية في البطريركية الانطاكية الملكية (١٧٠١—١٧٢٤)

كان لا بد من اكليروس وطني منظم الشؤون لامكان توسيع نطاق الاتحاد وثباته . وهذا ما تم في تأسيس الرهبانية الشويرية في دير الصابغ ، والرهبانية المخلصية قرب صيدا . وقد فهم مجمع انتشار الايمان ضرورة هذا الامر ، فاجتهد في تكثير عدد الطالبين الاكليريكيين الملكيين في رومية ، فمن هؤلاء الطلبة سارافيم طاناس ، ابن اخت اقتيميوس صيفي ، سيم كاهناً سنة ١٧١١ ،

واخذ يبشر بالكثلكة . وكثر عدد الكاثوليك فبلغ في ابرشية اقيميوس ، على قوله ، خمسة عشر الفاً . ولم يكن يقل عن ذلك في حلب والشام.

وكان قنصل فرنسة في صيدا غيوراً على الكثلكة فاجتهد ان يرد كيرلس الخامس ، وقد استدوجه الى ذلك رويداً رويداً . اخيراً ارسل كيرلس صورة ايمانه الى رومة مع طاناس ، هو وجراسيموس مطران صيدنايا سنة ١٧١٦ . وبناء على ذلك اقرت رومة تثبيت كيرلس بطريركاً . الا ان المسئلة لم تكن انتهت بعد حتى علمت بوفاته سنة ١٧٢٠[1] . حينئذٍ استلم زمام البطريركية اثناسيوس الثالث الذي بقي متقلباً بين الارثوذكسية والكثلكة حتى وفاته سنة ١٧٢٤ . ويقال انه عمل صورة ايمانه الكاثوليكي على سرير النزاع[2] .

ان اقيميوس الصيفي لم يتسنَّ له تبوّ العرش البطريركي ، لانه بسبب اندفاعه الشديد وتعييره بعض الطقوس اهاج الرأي العام عليه . فالحزب الكاثوليكي في الشام بادر الى تسمية بطريرك قبل تدخل الفنار ، فانتخبوا في ايلول سنة ١٧٢٤ سارافيم طاناس ابن اخت المطران اقيميوس صيفي ، ودعوا مطران صيدنايا نارفيطوس نصري ، وباسيليوس فينان ، اسقف بانياس ، فاموا اقيميوس فضل المخلصي اسقفاً لرحلة ، وثلاثتهم رقوا الى البطريركية سارافيم طاناس الذي سمي كيرلس السادس (عن سجل الرهبانية الشويرية) . فلما بلغ ذلك بطريرك القسطنطينية جمع مجمع اساقفته فاقاموا بطريركاً شماس البطريرك المتوفى واسمه سلفستروس ، واخذوا له براءة سلطانية . وارفقه البطريرك ارميا الثالث بصورة الحرم والحطّ لكيرلس طاناس . ومذ ذاك الوقت تميزت البطريركيتان الكاثوليكية والارثوذكسية .

---

١) جاء في سجل الرهبانية الحلبية ان « السيد البطريرك كيرلس الانطاكي الحلبي كان يعتبر الايمان الكاثوليكي . » وفي محل آخر : ٦٥ ك ٢ سنة ١٧٢٠ رقد بالرب البطريرك كيرلس وتوفي كاثوليكياً مثبتاً من الحبر الاعظم »

٢) جاء عنه في سجل الرهبانية الشويرية انه لما زار دير الصايغ سنة ١٧٢٠ ، خلا بالمتوري مكسيموس والمتوري نقولا . . . ثم تفاهم بان لا يظهروا شيئاً مما يقتضي الايمان الكاثوليكي فاجابوا بشجاعة ضد قوله . » وفي اماكن اخرى اشارة الى « اعمال كثيرة خبيثة » فعلها اثناسيوس ضد الكاثوليكيين « وجه سهم اضطهاده للكاثوليكيين بعد عودته من المجمع القسطنطيني . . . هرب زاخر من وجه اثناسيوس . . . » (للكلام صلة)